

كتب ابن زهر الطبيبة

و. ميشيل الخوري

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

وقال لوكلير Lueien Leclere المؤرخ الفرنسي في كتابه « تاريخ الطب العربي » ان لابن زهر كتابا آخر هو كتاب الاقتصاد في اصلاح الانفس والاجساد • وزاد عليها سارتون George Sarton المؤرخ الاميركي في كتابه الموسوعي الضخم « المدخل الى تاريخ العلم » كتابا آخر هو « مصباح الشفاء » • وذلك ما يجعل عدد الكتب الطبية التي ألفها ابن زهر تسعة كتب •

ويبدو أن هذا الكتاب الأخير لم يذكره أحد من المؤرخين الذين ترجموا لابن زهر ، وانما انفرد المؤرخ سارتون بذكره بعد اطلاعه على ترجمته العبرية لاعلى أصله العربي الذي يعتبر في عداد كتب ابن زهر المفقودة • وقال

للطبيب العربي أبي مروان عبد الملك بن زهر الاشبيلي (٤٦٤ - ٥٥٧ هـ / ١٠٧٢ - ١١٦٢ م) نحو تسعة كتب في الطب ما بين كبير وصغير ذكر منها أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة (٥٩٦ - ٦٦٨ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٧٠ م) في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » (٢ : ٦٧) سبعة كتب هي :

- ١ - كتاب التيسير في المداواة والتدبير •
- ٢ - كتاب الاغذية •
- ٣ - كتاب الزينة •
- ٤ - تذكرة في الدواء المسهل •
- ٥ - مقالة في علل الكلى •
- ٦ - رسالة في علتي البرص والبهق •
- ٧ - تذكرة في علاج الامراض •

Cento يعني مئة •

يدل ما تقدم على مبلغ اهتمام اليهود في القرون الوسطى بترجمة كتب الطب العربية الى العبرية • وانما كانوا يهتمون بهذه الترجمة لا لاكساب الكتاب المترجم شهرة لم تكن له قبل الترجمة ، بل خدمة لبني قومهم الذين لم يكونوا يحسنوه قراءة اللغة العربية • وحين يكون قراء الكتاب الطبي لا يحسنون قراءة اللغة العربية بل يحسنون التكلم بها ، أو حين يتعذر على المترجم نقل الكتاب الطبي الى العبرية نظرا لعجز هذه اللغة عن التعبير عن كل ما يكتب باللغة العربية ، فان المترجم أو القارئ في بعض الاحيان ، بدلا من ترجمة أحد الكتب العربية الى العبرية ، كان يكلف أحد النساخ الذين يجيدون قراءة العربية بنقل النص العربي كما هو • ولكن بكتابه بالحروف العبرية لا بالحروف العربية • وهذا ما فعله النساخ اليهود الذين نقلوا بالحروف العبرية النص العربي « لكتاب الاقتصاد في اصلاح الانفس والاجساد » لابن زهر ، كما يتبين من مخطوطة هذا الكتاب ذات الرقم ١٣٤ التي تحتفظ بها مكتبة الاسكوريال في اسبانيا •

ويجمع جورج سارتون في كتابه المذكور آتفا وألدو ميالي Aldo mieli المؤرخ الايطالي في كتابه « العلم العربي » وفيليب حتي المؤرخ العربي في كتابه « تاريخ العرب » ، على أن الكتب التسعة التي ألفها ابن زهر لم يسلم منها غير ثلاثة كتب هي بحسب تاريخ تأليفها :

١ - كتاب الاقتصاد في اصلاح الانفس والاجساد (٢) •

سارتون في كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » ان هذا الكتاب ترجمه في ايطاليا الى العبرية يعقوب بن مهي بن طيبون وهو من أهل النصف الاول من القرن الثالث عشر - وكان ابن زهر من أهل الربع الاخير من القرن الحادي عشر والنصف الاول من القرن الثاني عشر - ولكن هذه الترجمة فقدت بعد مغادرة ابن طيبون ايطاليا وذهابه الى فرنسا • ويبدو أيضا أن هذا الكتاب اشتهر عند المترجمين من اللغة العربية الى اللغات التي كانت شائعة حينذاك في أوروبا الغربية ، مما دعا مترجما آخر الى ترجمته مرة ثانية الى العبرية هو صموئيل بن سلمون بن ناثان المئاتي Samuel ben Salomon ben Nathan Ha-me'ati من أهل النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادي ، وسماه بالعبرية Menorah ha - Refu'ah أي Lamp of Healing كما سماه جورج سارتون وقد جعلت عنوان هذا الكتاب بالعربية بعد اطلاعي على ما قاله سارتون « مصباح الشفاء » • على أن هذا الاسم العربي قد يكون الاسم الحقيقي لكتاب ابن زهر المفقود أو أنه قد يكون قريبا من الاسم العربي الاصلي الذي وضعه ابن زهر •

أما مترجم الكتاب وهو صموئيل المذكور فينتهي الى أسرة يهودية ايطالية اشتهرت بالترجمة من العربية الى العبرية • وقال سارتون (٢: ٨٥٣) ان هذه الاسرة كانت تقيم في مدينة Cento بمقاطعة Forrava بايطاليا ولذلك لقب أعضاؤها بالمئاتي نسبة الى مئات لان الاسم

٢ - كتاب التيسير في المداواة والتدبير مع
ذيله الذي سماه ابن زهر بالجامع .

٣ - كتاب الاغذية .

وفيما يلي بيان موجز عن كل من هذه
الكتب :

١ - كتاب الاقتصاد في اصلاح الانفس
والاجساد :

كتب جورج سارتون عن هذا الكتاب
ما يلي (٢ : ٢٣٢) :

« أنجز ابن زهر تأليفه لكتاب الاقتصاد
سنة ١١٢١ - ١١٢٢ م (سنة ٥١٥ هـ) وألفه
للامير المرابطي ابراهيم بن يوسف بن ثاشفين^(٣)
وهو ابن ملك اشبيلية المرابطي الذي استوزر أبا
العلاء زهر (والد عبد الملك بن زهر) . والكتاب
مختصر في المداواة وتدبير الصحة وضعه ابن زهر
ليستفاد به غير الاطباء . وهو غير كامل لاشتماله
على خمسة عشر اقتصادا أو فصلا^(٤) . الا أن
مؤلفه على ما يظهر كان ينوي اتباعه كتابا آخر
فجعل فصول الكتابين معا ثلاثين فصلا . ويفهم
من عنوان الكتاب أنه يتناول كلا من النفس
والجسد ، ولكن فصوله الاولى عبارة عن موجز
في علم النفس » . اهـ . وقد أصاب سارتون
فيما ذكره عن كتابه الاقتصاد لان ابن زهر خصص
جانبا كبيرا من كتابه لما كان معروفا عن فئة
الامراض المعروفة بالامراض النفسية او العقلية ،
ولما كان يعتقد عن الطب الروحاني أو النفساني ،
وهو الطب الذي تحدرت نظرياته من عهد ابقرات
وارسطو وجالينوس واعتنقها العرب في مجالي
الامراض والعلاج .

وقد اطلعنا على كتاب الاقتصاد في مصور
مخطوطته التي تملكها دار الكتب الوطنية في
باريس رقم ٢٩٥٩ ، وهي نسخة مكتوبة بالخط
النسخي غير المنقوط في الغالب مما يجعل قراءتها
في منتهى الصعوبة ، ومما يجعل القارئ في
حيرة من أمره حيال الكثير من الالفاظ التي تتعذر
قراءتها على الوجه الصحيح . وجاء عن هذه
المخطوطة في فهرس دي سلان de slane
للمخطوطات العربية في دار الكتب الوطنية في
باريس أنها نسخت في القرن السادس عشر الميلادي
أي بعد تأليف الكتاب بنحو ٤٠٠ سنة ، وقد
درست هذا الكتاب بقدر امكانها الاساتذة
روز كوهنه برابانت Rosa Kuhne Brabant
الاسبانية وكتبت عنه اطروحتها التي نالت بها
درجة الدكتوراه من جامعة مدريد في سنة ١٩٧١ .
وكانت الدكتوراه كوهنه قد عزمت في سنة ١٩٧٢
على تحقيق كتاب الاقتصاد ونشره بالاستناد الى
مخطوطتين هما مخطوطة باريس المذكورة آنفاً
والمخطوطة ذات الرقم ٢٨٦٧ التي قيل انها
موجودة في المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في
تونس . الا أن هذه المخطوطة الثانية لم يعثر
عليها في المكتبة الوطنية بتونس بعد انتقال
العبدلية اليها بما فيها من الكتب المخطوطة
والمطبوعة . وذلك ما أخر الدكتوراه كوهنه عن
السير في تحقيقها لكتاب الاقتصاد . هذا فضلا
عن ان مخطوطة ثالثة لكتاب الاقتصاد تملكها
مكتبة الاسكوريال في اسبانيا برقم ٨٣٤ لم
تمكن الاستفادة منها لأنها على ما سبق ذكره ،
وان تكن عربية النص فانها مكتوبة بالحرف

العبري المعروف بالحرف الراشي Rashi • وهذا الحرف منسوب الى الرباني راشي العالم التلمودي الفرنسي الحاخام سليمان بن اسحق من أهل النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي • ويتركب الاسم راشي الذي غلب عليه من الحروف الاولى لاسمه العبري وهو الحرف الاولي Rabbi Shelomo yishaqui واليه ينسب الحرف العبري الذي كتبت به مخطوطة الاسكوريال لانه كان أول من ابتكر رسمه وعم استعماله • على أن هذا الحرف تصعب قراءته لاختلافه بعض الاختلاف عن الحرف العبري الحديث •

وقد جاء في نهاية المخطوطة ان نسخها تم في آخر نيسان عام ٥١٢ هـ للخليفة (توافق سنة ١٢٥١ ميلادية) • وبما أن السنة العبرية الحالية هي ٥٧٤٠ فيكون عمر نسخة الاسكوريال ٧٢٨ سنة أي انها أقدم من نسخة باريس بنحو ٣٠٠ سنة (كتبت نسخة باريس في القرن السادس عشر على ما جاء في فهرس دي سلان) • وقد جاء على الصفحة الاولى من نسخة باريس لكتاب الاقتصاد ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين
المقالة الاولى من كتاب الاقتصاد في اصلاح
الانفس والاجساد

قال عبد الملك بن زهر بن عبد الملك اني ،
أطال الله بقاء الأمير الاجل الاعز الافضل ابي اسحق
ابراهيم ابن يوسف بن ثاشفين ذي الشرف
الباهر والمجد الناصر وخلص ملكه وبطر دولته ،
آثرت ما أشار اليه وحمل عليه من أن

أثبت له جملة مختصرة تجمع بين الطريقتين وتأخذ
بالطرفين في الطب والزينة^(٥) ليكون كما أمر
بين يديه تذكرة فيما يخصه ولينتفع به أهل
مجلسه بما يشكر من قراءته لديه •

وجاء على الصفحتين الاخيرتين ما يلي
« وليس كتابي هذا لمن لم يتقدم من علم
الطب في شيء وانما هو تذكرة لاتصلح الا لمن
قرأ كتب الرجل وارتاض فيها وكان مع ذلك جيد الطبع
واخذ هذا بين يديه يتذكر منه ويعمل به • أو
رجل آخر يقتصر منه على طريق الزينة من غير
أن يعلم ما يتكلم فيه • واني لاعلم أنك تربأ
بنفسك عن هذه المرتبة الاخيرة وتسمو عنها
الى ما هو خير منها وليس ذلك الا بقراءة تلك
الكتب • واني لاتخلن اني سألام مرة على أني
طولت ومرة أخرى أعنف بسبب أني أوجزت •
ومن ظن هذا أو هذا لينظر أولا ما سألتني
اياه وحملتني عليه فعسى أن يبين عنه وجه
يخلصني • وقد أجد الكلام بحقه فأنا قاطعه في
هذا الموضوع جاعلا مقالتي هذه خاتمة لسائر
مقالات هذا الجزء • وان أمهلني الاجل وامكنتني
المهل سأثبت لك الجزء الثاني على ما وعدتك
به ان شاء الله وبه التوفيق وهو حسبي ونعم
الوكيل •

تمت المقالة السابقة وبتمامها تم الكتاب
والحمد لله وكفى بالله وكيفا وصلواته على عباده
الذين اصطفى وهو حسب من توكل عليه •
وجاءت العبارات الاخيرة في نسخة
الاسكوريال المكتوبة بالحرف العبري هكذا :



هامة الجرب *Acarus scabiei* ولم يكن يتردد
عن ابداء معارضته لما كان يزعمه جالينوس » .

وظاهر أن ابن زهر لم يؤلف كتاب التيسير
الا بعد أن نضج علمه واكتملت اختباراتهِ وتعددت
مشاهداته مما يحمل على الظن بأنه أنجز تأليف
كتابه في أواسط القرن السادس الهجري (توفي
ابن زهر سنة ٥٥٧ هـ) . وذكر المؤرخون ومنهم
جورج سارتون في كتابه المدخل الى تاريخ
العلم ، ان ابن زهر ألف كتاب التيسير بناء على
طلب صديقه ورضيعه الفيلسوف القاضي ابن
رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م)
لجعله صنوا لكتاب الكليات في الطب (ترجم
هذا الكتاب الى اللاتينية بعنوان Colliget)
وهو الكتاب الذي ألفه في الطب ووصف فيه
بصورة عامة ما كان معروفا عن الامراض في زمانه .
وبما أنه لم يتطرق في كتابه الى التفاصيل في
المعالجة كطبيب سريري ممتن فانه طلب الى
صديقه ابن زهر ان يجعل كتابه مشتملا على
اختباراتهِ ومشاهداته في علمي الامراض
والدواوة . وهذا ما قاله سارتون (٢ : ٢٣٢) :

« كتاب التيسير في الدواوة والتدبير هو
أهم مؤلف لابن زهر . وقد ألفه نزولا على
طلب ابن رشد الذي كان صديقه واحد المعجبين
به^(٧) (ولكن لم يكن تلميذه) ، وكان ذلك قبل
منتصف القرن بمدة قصيرة (يريد القرن الثاني
عشر الميلادي) . ويبدو أنهما كانا يرغبان معا
بأن يكون التيسير متمما للكليات لان هذا الكتاب
الاخير يتناول المسائل العامة في الطب في حين
أن الاول يتناول مواضيع الطب الخاصة . فاذا

« كملت المقالة السابعة وبكمالها كمل
كتاب الاقتصاد في اصلاح الاقنص والاجساد
تأليف ابي مروان بن زهر الايادي في آخر
نيسان عام خمسة آلاف واثنين عشر للخليفة » .
فيتبين مما جاء على الصفحة الاخيرة من
كتاب الاقتصاد أن ابن زهر كان يرغب بجعله
في جزأين اثنين اذا مد الله في عمره^(٦)
الا أن اشتغاله بعد انجاز كتاب الاقتصاد بتأليف
سواه من الكتب التي وضعها فيما بعد وبخاصة
كتاب التيسير في الدواوة والتدبير حال بينه
وبين تحقيق هذه الرغبة .

٢ - كتاب التيسير في الدواوة والتدبير :

يجمع المؤرخون على أن هذا الكتاب أفضل
وأشهر كتاب ألفه ابن زهر . وتحذو حذو المؤرخين
الموسوعات العربية والاجنبية والمعجمات الطبية
الكبرى التي تثبت أسماء وأعلام الطب بالاضافة
الى ما تحتويه من مصطلحات التشريح واسماء
الامراض واساليب العلاج وما الى ذلك . ومثال
ما تذكره المعجمات الطبية عن ابن زهر ومؤلفاته
ما جاء في معجم دورلند الطبي
Dorland's Medical Dictionary (الطبعة ٢٥
لسنة ١٩٧٤) ، وترجمته كما يلي :

« ابن زهر (١١١٣ - ١١٦٢) أو Avenzoar
(كما سماه الكتاب الاسبان واللاتين) طبيب
اسلامي شهير . ولد في اشبيلية باسبانيا
(الاندلس العربية حين ذاك) . وأهم مؤلفاته
كتاب التيسير الذي هو خلاصة وافية
compendium لصناعة الطب ، مع احتوائه
على عدد كبير من المشاهدات الطبية . وصف

كان هذا القول صحيحا ، فانهما يكونان قد أحسنا تقاسم العمل اذ أن ابن رشد كان في المقام الاول فيلسوفا في حين أن ابن زهر ، الذي كان أكبر سنا من ابن رشد ، كان قبل كل شيء طبيا سريريا مزاولا للطب . أما كتاب التيسير ، فانه بعد مقدمة طويلة تحمل على الريية بقيمتها يشتمل على دراسة منظمة للحالات المرضية والمداواة اللائقة بها : وينتهي بعد هذا بمجموعة من صيغ المركبات الطبية والترياقات ، وهي المجموعة التي أطلق عليها ابن زهر اسم «الجامع» والتي يخطئ البعض بعدها كتابا مستقلا عن كتاب التيسير » .

وذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » ان ابن رشد روى في نهاية كتابه « الكليات » قصة تكليفه لابن زهر بتأليف كتاب التيسير كما يلي :

« فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الامراض بأوجز ما امكنا تبينه ، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض عرض من الاعراض الداخلة على عضو عضو من الاعضاء ، وهذا وان لم يكن ضروريا لانه منطوق بالقوة فيما بلغت من الاقاويل الكلية ففيه تتميم ما وارتياض لانا ننزل فيها الى علاجات الامراض بجس عضو عضو ، وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنايش^(٨) ، حتى نجتمع في أقاويلنا هذه الى الاشياء الكلية الامور الجزئية . فان هذه الصناعة ، احق صناعة ينزل فيها الى الامور الجزئية ما أمكن . الا أنا تؤخر هذا الى وقت نكون فيه أشد فراغا لعنايتنا في هذا

الوقت بما يهم من غير ذلك . فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء وأحب ان ينظر بعد ذلك في الكنايش فأوفق الكنايش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر . هذا الكتاب سألته أنا اياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا الى خروجه . وهو كما قلنا كتاب الاقاويل الجزئية التي جعلت فيه شديدة الطابقة للاقاويل الكلية . الا انه مزج هنالك مع العلاج العلامات واعطاء الاسباب على عادة أصحاب الكنايش . ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا والى ذلك بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج فقط . وبالجمل من تحصل له ما كتبناه من الاقاويل الكلية امكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنايش في تفسير العلاج والتركيب » .

وجاء في ما كتبه معظم الذين ترجموا لابن زهر انه لم يكد ينتهي من تأليف كتاب التيسير حتى تناقلته أيدي النساخ والمترجمين فوضعت له على الفور ترجمتان عبريتان ولكنهما مغفلتان . وانتقلت هاتان الترجمتان الى ايطاليا فترجم احدهما الى اللاتينية الماجستير يعقوب Magister Jacobus Hebraeus العبري البندقي بالاشتراك مع طبيب من بادوا Padua اسمه بارافيسينوس Paravicinus أو بارافيسوس Paravicinus ويرجح ان الاول نقل الترجمة العبرية الى لغة البندقية العامة حول السنة ١٢٨١ ، ثم نقل الثاني هذه الترجمة الى اللاتينية وجعل عنوانها على ما ذكره جورج سارتون (٢: ٢٣٣) Adjumentum de Medela et Regimine



التي سير يعد في مرتبة أعظم الكتب العربية التي عرفت في تاريخ الطب . وأكد المؤرخ الفرنسي لوكليز أن كتاب التيسير لا يقل شأنه عن كتاب الحاوي للرازي والقانون لابن سينا وذلك من شأنه ان يجعل ابن زهر في مرتبة هذين الطبيين اللذين نبغا في مشرق الدولة العربية الاسلامية . وكفى الطب العربي فخرا ان كتاب التيسير بترجمته اللاتينية بقي حتى القرن الثامن عشر أحد الكتب التي كانت تدرس في مراكز الطب الشهيرة في أوروبا الغربية نظير جامعتي لوفان Louvain ومونبلييه Montpellier .

ويتألف كتاب التيسير من سَفرين اثنين ومن ملحق بهما سماه ابن زهر بالجامع . ومبدأ السفر الاول من الكتاب مقدمة وجيزة ذكر فيها ابن زهر انه اجبر على الحاق كتابه بالجامع فزولا عند رغبة احد الامراء (هو الامير المرابطي صاحب اشبيلية) فقد أراد هذا الامير ان يكون لديه كتاب يشتمل على صلب الادوية المركبة التي كان يستعملها ابن زهر في العلاج ، وقد اشار ابن زهر الى ذلك في مقدمة كتاب التيسير فقال ما يلي : ولقد دخل في خلال وضعي له من كان كالموكل علي فيه فلم يرضه مني ذلك وقال ان الاقتفاع به لمن لم يحذق شيئا من اعمال الطب بعيد وانه ليس علي ما امر به ولا على غرض مما يريد . فذيلته حينئذ بجزء منحت الرتبة سميت بالجامع ، الفته مضطرا وخرجت فيه عن الطريقة المثلى كارها ووضعته بحيث لا يخفى على المريض ولا على من حول المريض » .

ومعناه تسهيل مداواة المريض وتديره بالتغذية الملائمة . وقد طبعت هذه الترجمة في البندقية في السنوات ١٤٩٠ و ١٤٩٦ و ١٤٩٧ و ١٥١٤ و ١٥٣٠ ، وطبعت في ليون سنة ١٥٣١ ، وأخيرا طبعت في البندقية سنة ١٥٥٤ . ومما يجدر ذكره أن كل هذه الطبقات لكتاب التيسير كانت تحتوي على الترجمة اللاتينية لكليات ابن رشد المسماة باللاتينية Colliget . ويبدو أن جيوفاني دي كابوا Giovanni de Capua وضع لكتاب التيسير . قبل ذلك بسنوات قلائل ترجمة لاتينية أخرى نقلت عن الترجمة العبرية وجعل عنوانها Facilitatio adjuncti scilicet regiminis et medelae ومعناه « تسهيل الاسعاف أي بالتدبير والمداواة . ومع أن هذه الترجمة تفضل الترجمة التي وضعت بعدها فانها لم تطبع . على أن كلتا الترجمتين تحتوي الكثير من الاخطاء ومواطن الابهام والغموض .

ومما ينبغي الاشارة اليه ان ترجمة كتاب التيسير الى اللاتينية نقلت عن الاصل العربي قد تكون تمت أيضا في اسبانيا نفسها على يد لجنة المترجمين الاسبانية التي ألفت في طليطلة سنة ١١٣٠ برئاسة الاسقف ريموند Raymond وهي اللجنة التي أسهمت اسهاما كبيرا في نشر الثقافة والعلوم العربية في أوروبا الغربية .

ولا ريب في أن كتاب تيسير بترجماته العبرية واللاتينية أحدث أعظم الاثر في تطور الطب خلال القرون الوسطى التي كان فيها الطب الاوروبي لا يزال عاجزا عن التحليق بجناحيه . ويجمع مؤرخو الطب العربي ان كتاب

السفر الاول من كتاب التيسير

يبدأ ابن زهر السفر الاول من كتابه ، وهو اطول السفريين ، بفصل قصير في حفظ الصحة فيقول في أول هذا الفصل :

« اجمع الاطباء على ان تليين الطبيعة معين على دوام الصحة . ومن اسهل مايعمل في ذلك أن يثمرس من التمر الهندي عشرة دراهم فيما يغمره من ماء حار ، وينقع فيه من الروائدالحديث مرضوضا بثلاثة ارباع درهم اربعا وعشرين ساعة ثم يصفى ويخلط فيه أوقية من شراب قشر الاترج . وذكر الاطباء ان من شرب نصف درهم من الترياق الفاروق على الصوم بجرعات من ماء فاتر كل عاشر من الايام في زمن الشتاء يسلم باذن الله من حدوث الحميات العفونية ومن الصرع والقولنج وتدوم به صحة اعضائه بحول الله . وزعموا انه يوقف الشيب . واما من لزم ذلك ولو عاما واحدا فانه لا يضره سم حيوان سُمِّي ولا يؤثر فيه سم ولادواء قتال . والترياق أمان من مضرة شرب المياه الردية . » الخ .

ويختتم ابن زهر كلامه على حفظ الصحة بهذه العبارات : « وماذكرته بالصحة شهدت التجربة لي به فأنا آخذ من ذي قبل في علاج دفع اسباب الامراض بما يسهل تركيبه وتخف مؤوته ويكون في اكثر المواضع موجودا بحول الله . فأبدأ والله الموفق بذكر علل الرأس المعهودة كثيرا .

وهكذا فان ابن زهر يأخذ بذكر الامراض وعلاجها مبتدأ بعلل الرأس ومنتهايا بالقدم ، او كما قال بترجمة كتابه الى اللاتينية acapite

vsque ad calcem أي من قمة الرأس الى أخمص القدم ، فيتم السفر الاول من كتابه ، وهو كما قلنا آتقا أطول السفريين ، بذكر امراض الصدر والحجاب الحاجز الفاصل بين آخر الصدر واول البطن .

السفر الثاني من كتاب التيسير

يبدأ ابن زهر السفر الثاني من كتابه بالكلام في البطن الاسفل فيقول : « والبطن الاسفل تحدث فيه الاورام كما تحدث في سائر الاعضاء . والاورام اذا كانت في احد الاوعية التي ينفذ فيها الكيلوس المنهضم وكانت من الامعاء الدقاق او من غيرها من الامعاء فان الالوجاع تلزم الاورام وخاصة ان كانت صفراوية او كانت دموية ، وعلى كل ذلك فان الحمى تتبع ذلك ويتبعه عطش . فان سدّ الورم المجري كان الوجع اشد وامتنع نزول الكيلوس ورجع القهقري الى المعدة وخرج بالقيء ، وربما عاجل المريض الموت لشدة الوجع ولامتاع النفوذ . » الخ .

ويختتم ابن زهر السفر الثاني من كتابه بالكلام على الحميات والبحارن والامراض الوبائية فيقول ان الوباء أي الطاعون على نوعين هما الوباء الهوائي والوباء المائي . وكل ذلك في غاية من التفصيل والوضوح وصحة اللغة الطبية التي اشتهر بها ابن زهر . وحبذا لو اتسع هذا المقال لغير ما تقدم ذكره من الشواهد الممتعة بوضعها الدقيق للامراض وبلغتها المشرقة التي تنم على ما كان عليه ابن زهر من الاقتدار في اختيار الكلم الضحيح للفصيح وسبكها في اسلوب بليغ هو في منتهى الجمال والروعة (٩) . فلا بد

ومما تجدر الإشارة اليه ايضا ان سارتون في كلامه على هذين الكتابين (١ : ٨٦) نقل اسم كل منهما بالحروف اللاتينية ولكنه جعل الكلمة « الانفس » المذكورة في كل من عنواني الكتابين مما يكون لفظه « الانفاس » لا الانفس . وذلك كما هو ظاهر خطأ وقع فيه سارتون حين نقله الاسم العربي للكتابين المذكورين وكتابته بالحروف اللاتينية .

(٣) قال ابي زهر في نهاية كتابه ان كتاب الاقتصاد يتألف جزؤه الاول عن سبع مقالات .

(٤) كان الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين حاكما لاشبيلية من سنة ١١١٨ - ١١٢٢ م ٤١٢ - ٥١٦ هـ

(٥) الزينة كل ما يزين به . وفي محيط المحيط ان امراض الزينة عند قدماء الاطباء هي ما يتعلق بالشعروالاطفاروالجلد كالكلف والنمش ونحو ذلك . على ان لابن زهر كتابا خاصا في الزينة الفه وهو فتى ، الا ان هذا الكتاب يعتبر في عداد كتب ابن زهر المفقودة . وقد اشار ابن زهر نفسه الى هذا الكتاب في مقدمة كتاب التيسير في المداواة والتدبير (الورقة ١ / ظ من نسخة باريس لكتاب التيسير) . وذكره ابن ابي اصيبعة ايضا بين مؤلفات ابن زهر في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » (٢ : ٦٧)

(٦) انجز ابي زهر تأليف كتاب الاقتصاد سنة ٥١٥ هـ وكان عمره اذ ذاك نحو ثمان وعشرين سنة بحسب ماذهب اليه سارتون وخمسين سنة بحسب ماذهب اليه سواه لان تاريخ مولد ابن زهر ليس معروفا على وجه التاكيد .

(٧) قال ابن رشد في كتاب الكليات ان مؤلف كتاب التيسير هو اعظم طبيب بعد جالينوس .

(٨) الكنايتش واحدها كناش وكناشة ، كلمة سريانية عنت في الاصل مجموعة مذكرات وفوائد طبية مكتوبة . واطلقها العرب قديما على كل كتاب يبحث فيه صاحبه موضوعات كتابه على وجه التفصيل .

(٩) - سبق كاتب هذا المقال ان القى في سنة ١٩٧٢ محاضرة موضوعها لغة ابن زهر ، وذلك في الاحتفال الذي اقامه المجلس الاعلى للعلوم في جامعة حلب في نطاق اسبوع العلم الثالث عشر ، احياء للذكرى التسعمائة لمولد ابن زهر . وقد نشرت المحاضرة في الكتاب الاول (ص ٢٤١) من الكتب الخمسة التي تضمنت المحاضرات المقامة في اسبوع العلم الثالث عشر .

للمقارئ للتمتع بما جاء به ابن زهر في كتاب التيسير ، من ان يقرأ هذا الكتاب او يقرأ بعضه . والامل ان لا يطول الامد لخروج الكتاب بعد انتهاء التحقيق الذي اجراه كاتب هذا المقال لنسخ الكتاب في السنوات الاربع الاخيرة . ويختتم ابن زهر السفر الثاني من كتابه بهذه العبارة : واذ قد اتيت من القول ما اردت اتيانه فأنا قاطع القول اذ قد استتمته وبالله تعالى التوفيق . ثم « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » ويتلوه « كتاب الجامع » بحول الله .

(١) القى الاستاذ الباحث محاضرة عن ابن زهر في ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٩ في مدرج كلية الطب بجامعة دمشق في نطاق اسبوع العلم التاسع عشر الذي اقامه المجلس الاعلى للعلوم بدمشق . وبمناسبة الاحتفال باستقبال القرن الخامس عشر الهجري . وذلك في المدة من ١٠ الى ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ . وقد خص مجلة التراث العربي بهذا البحث .

(٢) قال سارتون في كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » ان كلمة الاقتصاد التي جعلها ابن زهر عنوانا لكتابه . مع صعوبة ترجمتها قد تعني لزوم الطريق الوسط . على ان كلمة الاقتصاد قد تكون مشتقة من القصد وهو استقامة الطريق او تكون مشتقة من القصد في الامر وهو التوسط فيه كالاقتصاد فيكون المعنى سلوك سبيل الثاني والاعتدال بعيدا عن طرفي الافراط والتفريط . وعليه فان الترجمة الانكليزية لكتاب الاقتصاد قد تكون moderation in the reformation of Souls and bodies

ومما تجدر الإشارة اليه ان ابي جميع الاسرائيلي المصري (ت سنة ٥٩٤ هـ ١١٩٨ م) جعل عنوان احد كتبه الطبية « الارشاد لمصالح الانفس والاجساد » وبما ان ابن جميع توفي بعد ابي زهر بنحو ٣٧ سنة فقد يكون احدث سنا من ابن زهر ، كما ان عنوان كتابه « الارشاد » قد يكون مستوحى من الاسم الذي جعله ابن زهر عنوانا لكتابه ، ولاسيما ان ابن زهر على ما رواه ابن البار في كتاب التكملة انجز تأليف كتاب « الاقتصاد » سنة ٥١٥ هـ / أي قبل وفاة ابن جميع بنحو ٧٩ سنة .